مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies
نماء وانتماء

namacenter

قراءات

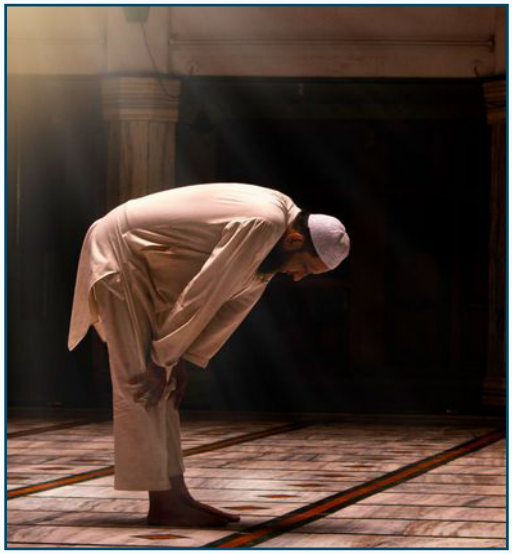

مركزية التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي
دراسة في نماذج

عبد الحافظ صحبوض

مركزية التوحيد في النظام المعرفي

مركزية التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي

دراسة في نماذج

عبد الحافظ صحبوض

حاصل على شهادة الماستر في الحوار الديني والحضاري وقضايا التجديد في الثقافة الإسلامية

جامعة السلطان مولاي سليمان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بني ملال - المغرب

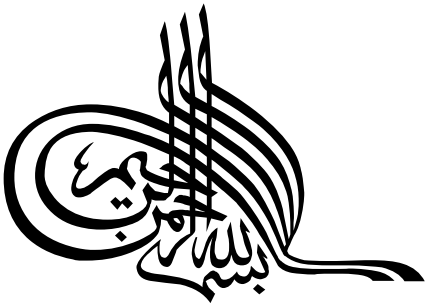
بسم الله الرحمن الرحيم

المُحتَوَيَاتْ

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: إسماعيل راجي الفاروقي ومركزية التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي	١٠
المطلب الثاني: طه جابر العلواني وعبد الحميد أبو سليمان ومحورية التوحيد في الرؤية الكلية القرآنية	١٦

مقال بعنوان
مركزية التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي
دراسة في نماذج

تمهيد

من المعلوم أن لكل نظام معرفي خلفية فكرية، أو عقدية، أو أيديولوجية، تشكل بمثابة منطلقه وأساسه الذي يُبنىٰ عليها صرحه، وتُحدِّد معالمه، وتُؤثّر في معارفه النظرية، وتطبيقاته العملية، وكذا في مقاصده ومراميه، لذلك ارتأينا في هذا المقال أن نُجلّي ونُبيّن جانبًا من أهم الأسس والقواعد التي يقوم عليها النظام المعرفي الإسلامي، المتمثل في الأساس العقدي التوحيدي.

وتجدر الإشارة إلىٰ أن المقال لن يخوض في مسألة التوحيد من الزاوية العقدية الكلامية، وما يتعلق بذلك من الحديث عن مسائل الأسماء والصفات أو القضاء والقدر، وغيرها من المباحث العقدية التي كانت محط نقاش وجدال بين الفرق الكلامية، كما لن يتطرق لموضوع التوحيد من الزاوية الإصلاحية الاجتماعية، وما يتعلق به من محاربة البدع والخرافات والشّركيات كما ذهبت إلىٰ ذلك الحركة الوهابية في تجربتها الإصلاحية.

وفي المقابل سأركز علىٰ الزاوية المعرفية في تناولي مفهومَ التوحيد؛ أي محاولة الإجابة عن سؤال، «ما مدىٰ حضور المضمون التوحيدي في إنتاج العلم

والمعرفة؟»، وبعبارة أخرىٰ، دراسة التوحيد باعتباره إطارًا نظريًّا ومرجعيًّا، وخلفية فلسفية، موجهة ومسددة للعلم والمعرفة. ولعل ذلك ما نتلمّسه في تعريف المسيري لمفهوم التوحيد، إذ يقول: «التوحيد هو الإيمان بوجود مبدأ واحد هو مصدر وحدة العالم، وهو الإله، وهذا الإله خلق الإنسان والطبيعة والتاريخ، وهو الذي يحركهم ويحدد أهداف الوجود الإنساني علىٰ الأرض والقيم الأخلاقية التي يجب علىٰ الإنسان الالتزام بها. وهذا الإله ليس جزءًا من الطبيعة، ولا من مادتها فهو (ليس كمثله شيء)، وهو كذلك ليس حالًا في الإنسان والطبيعة بل يتجاوزهما»[1].

وقد عبّر مالك بن نبي عن مركزية العقيدة الدينية في بناء الحضارة، بقوله: «فالحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها (...)؛ فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجًا، أو هي تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنىٰ العام»[2].

«فالعقيدة تشير إلىٰ التوحيد بوصفه القيمة المركزية الكبرىٰ، التي تشع عناصرها علىٰ كل الأنساق التابعة، من معرفة وفكر وثقافة ومفاهيم ومناهج وطرائق تفكير وأساليب تفسير وأطر تحليل، وقواعد تغيير وتقويم، التوحيد كنسق تبدو أهميته في كونه إطارًا مرجعيًّا أكبر، يعبّر في المبتدأ والمنتهىٰ عن قاعدة إسناد وإطار مرجع، والإنسان أيضًا هو إنسان العقيدة الذي يمكن تسميته إنسان القيمة المتواصلة مع قيمة الإنسان. والكون أيضًا قيمة لفاعلية الإنسان وسعته فيه، واعتباره سيّدًا فيه لا عليه بالاستعلاء، وبإعماره لا إفساده، والحياة قيمة في نطاق تفاعلاتها وحركة الإنسان فيها. إن العقيدة مفهوم ومكونات هي بحق قيمة»[3].

---

(١) المسيري عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية**، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م، دار الشروق، القاهرة، ص ٢٥.

(٢) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، دار الفكر، دمشق، ص ٥٦.

(٣) سيف الدين عبد الفتاح، **مدخل القيم: إطار جامع لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٠٥.

كما أن التوحيد «ليس تسليمًا عقديًّا فحسب، وإنما هو امتداد معرفي يتحدث عن المعرفة في حدود إمكانيتها ودرجة تصويرها للوجود، وعن الآليات التي تتم بها، وعن دور الغيب في ذلك من زاوية الوحي، وما يقدمه من قيم هادية وموجهة، ثم معيار الصدق والصحة بشرط أداء المعرفة لدورها إنسانيًّا، وتحقيق التوافق والتناغم الوجودي الشامل، بهدف المحافظة علىٰ الوجود من حيث ما هو مسخّر قصدًا للإنسان، وليس من ناحية التمكن الإمبريالي منه، بهدر إمكاناته واستغلالها بلا توازن، فينعكس ذلك علىٰ تصورنا لتطور الحياة وارتقاءات التاريخ في صورة منطق النهاية، التي يهيمن عليها العقل العلماني الليبرالي المادي الإمبريالي»[1].

وعمومًا فقد اعتبر بعض الباحثين، أن التوحيد شرط من شروط فهم قضية الرؤية الكلية في القرآن الكريم، إذ «لا يمكن فهم قضية الرؤية الكلية في القرآن الكريم، إلا في إطار منظومة التوحيد؛ عبر شهود وجود الله تعالىٰ ووحدانيته، وأنه هو خالق هذا الكون بما فيه ومن فيه، ومالكه ومدبره، خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض ليعمرها وليتصرف فيها طبقًا لتعاليمه، وامتثالًا لإرادته سبحانه»[2].

ومن هذا المنطلق سنحاول مقاربة موضوع مركزية التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي، من خلال الوقوف عند ثلاثة نماذج فكرية معاصرة في مجال الفكر الإسلامي، ويتعلق الأمر ببعض رواد مدرسة إسلامية المعرفة؛ إسماعيل راجي الفاروقي، طه جابر العلواني، وعبد الحميد أبو سليمان.

---

(١) الحاج بن أوحمنه دواق، **المنهج المعرفي التوحيدي عند عبد الوهاب المسيري: مدخل إلىٰ الإبستمولوجيا التوحيدية**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة السابعة عشر، العدد ٦٨، ربيع ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢م، ص ٧٣-٧٤.

(٢) عبادي أحمد، **القرآن الكريم ورؤية العالم مسارات التفكير والتدبير**، الرابطة المحمدية للعلماء، سلسلة ندوات علمية (٧)، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الثانية، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، ص ١٥-١٦.

المطلب الأول
إسماعيل راجي الفاروقي ومركزية التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي

يعتبر التوحيد الأساس المتين والركن الركين الذي ترجع إليه كل الفروع الحياتية الأخرىٰ في المجال التداولي الإسلامي، فالتوحيد هو الخلفية الفكرية الموجهة للفكر الإسلامي، والأرضية التي منها تنبع كل العلوم والمعارف ذات الطابع الإسلامي، شرعية كانت أو كونية أو فلسفية.

ونظرًا للأهمية القصوىٰ للأساس التوحيدي في ترشيد وتوجيه العلم والمعرفة في شتىٰ المجالات والأصعدة، سياسيًّا، اقتصاديًّا، اجتماعيًّا، علميًّا، فنيًّا . . .، فقد برز الاهتمام بالتوحيد كناظم معرفي، وضابط منهجي، وبوصلة مسددة وموجهة للفكر والعلم والمعرفة، مع ثلة من المفكرين والباحثين، خصوصًا مع مدرسة إسلامية المعرفة. من أمثال (طه جابر العلواني، إسماعيل راجي الفاروقي، فتحي حسن ملكاوي، عبد الوهاب المسيري، سيف الدين عبد الفتاح، داود أوغلو، منىٰ أبو الفضل، وغيرهم . . .).

ولعل أكثر هؤلاء اشتغالًا بالتوحيد بصفته موجهًا للفكر والحياة، هو الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، من خلال كتابه الموسوم بـ «التوحيد: مضامينه علىٰ الفكر والحياة» الذي كُتب أصالة باللغة الإنجليزية، ونقله إلىٰ العربية، الدكتور «السيد عمر»، فالكتاب يرصد قدرة المنظور التوحيدي علىٰ ترشيد وتوجيه الفكر والحياة، في شتىٰ المجالات والأصعدة، حيث تحدث المؤلف عن أثر التوحيد

على الاقتصاد، والسياسة، والمعرفة، والأخلاق، كما يتبين ذلك من خلال تتبع بعض فصول الكتاب:

* الفصل الثالث: التوحيد مبدأ التاريخ
* الفصل الرابع: التوحيد مبدأ المعرفة
* الفصل الخامس: التوحيد مبدأ الغيب
* الفصل السادس: التوحيد مبدأ الأخلاق
* الفصل السابع: التوحيد مبدأ النظام الاجتماعي
* الفصل الثامن: التوحيد مبدأ الأمة
* الفصل التاسع: التوحيد مبدأ الأسرة
* الفصل العاشر: التوحيد مبدأ النظام السياسي
* الفصل الحادي عشر: التوحيد مبدأ النظام الاقتصادي
* الفصل الثاني عشر: التوحيد مبدأ النظام العالمي
* الفصل الثالث عشر: التوحيد مبدأ الجمال

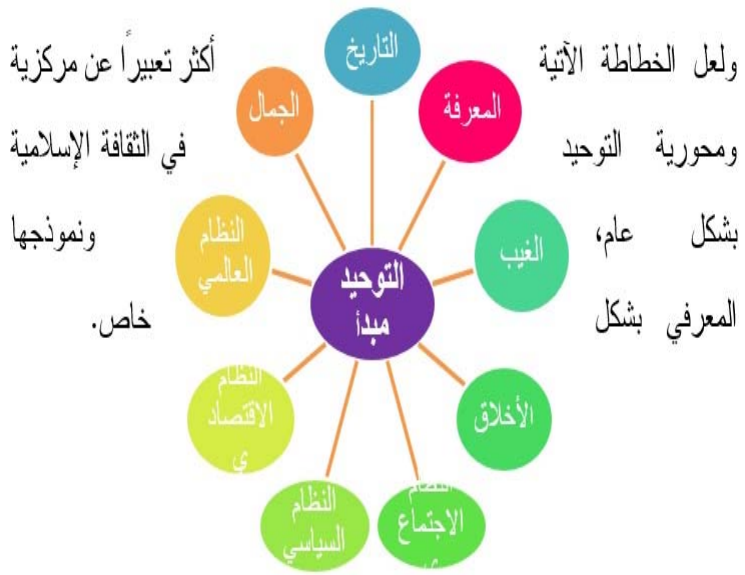

ولعل الخطاطة الآتية أكثر تعبيرًا عن مركزية ومحورية التوحيد في الثقافة الإسلامية بشكل عام، ونموذجها المعرفي بشكل خاص.

ويعد الفصل الرابع الموسوم بـ «التوحيد مبدأ للمعرفة»، أهم الفصول التي لها صلة مباشرة بموضوعنا هذا «مركزية التوحيد في النظام المعرفي الإسلامي»، فالتوحيد حسب الفاروقي هو الفارق الجوهري بين النظامين المعرفيين الإسلامي والغربي، معتبرًا إياه بمثابة الأساس العقدي التّوحيدي الجوهري للنظام المعرفي الإسلامي، الذي في ضوئه ينبني النظام كله. وقد «كان» علم التوحيد «قديمًا هو العلم الذي تحدّدت فيه تصوراتنا للعالم (..) وهو الذي حدّد لنا المبادئ الأولية للحياة (..). علم التوحيد يبدأ بمقدمتين نظريتين **الأولىٰ** عن العلم إجابة عن سؤال: كيف أعلم؟ **والثانية** عن الوجود إجابة عن السؤال: ماذا أعلم؟ الأولىٰ لوضع نظرية في المعرفة، والثانية لوضع نظرية في الوجود»[1].

فالتّوحيد بوصفه مبدأ للمعرفة، هو الإقرار بأن الله تعالىٰ هو الحق، وأنه واحد أحد لا شريك له. ويستبطن هذا الإقرار وجوب رد أمر البت في كل خلاف وفي كل شك، إليه ﷻ، وبأنه لا دعوىٰ تستعصي علىٰ المعايرة والبت القاطع فيها. فالتوحيد إقرار بأن الحقيقة قابلة لأن تُعرف، وأن بوُسع الإنسان أن يصل إليها[2].

كما أن التوحيد في الإسلام يعني اليقين، واليقين هو بلوغ الحقيقة وهو عكس ما يفهم من «الإيمان» في المشهد الفكري الغربي الذي يعني الشك والتشكيك. فعلىٰ العكس من الإيمان المسيحي نجد الإيمان الإسلامي هو حقيقة يصل العقل إليها عن طريق اليقين. الإيمان في الإسلام مقولة معرفية؛ لأنه يرتبط بالمعرفة وبصحة الأخبار التي يتأسس عليها، ولا سيما مع مصاحبة القيمة

---

(١) حسن حنفي، **دراسات إسلامية**، ١٩٨٢، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ص ٣٠٠-٣٠١. نقلًا عن: عبد العزيز بو الشعير، **النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي**»، م. س، ص ١٤٩.

(٢) الفاروقي إسماعيل راجي، **التوحيد: مضامينه علىٰ الفكر والحياة**، ترجمة: د. السيد عمر، ربيع الأول ١٤٣٥هـ/ يناير ٢٠١٤ م، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، ط٢، ص ٩٩.

الإيمانية: للعقل والتعقل والعقلانية التي هي أدوات المعرفة، وهي في الوقت نفسه صادرة عن الاعتقاد والوحي[1].

فالتوحيد مبدأ منهجي، يحرر البشرية من العبث الغربي: بمفهومي العقيدة والإيمان. ولا موضع في التوحيد، بوصفه مبدأ المعرفة، للنزعة الشكوكية التي روجت العلمانية التجريبية الوضعية لها، ولا للإيمان غير المؤسس علىٰ دليل، الذي دعت إليه الكنيسة. فلقد حوّل الغرب مفهوم الإيمان المرادف اليقينَ إلىٰ معنىٰ: الاشتباه والشك والاحتمال، والقطيعة بين مفهوم العقل ومفهوم الوحي المنزل، وحصر العقل في تأويلات الكنيسة، وفيما هو تجريبي ملموس.

وعلىٰ العكس من ذلك، فإن الإيمان الإسلامي مقولة معرفية مبنيّة علىٰ بيّنة عقلانية، تقوم علىٰ حقيقة يصل العقل إلىٰ اليقين بها، جوهرها هو: وحدة الحق والحقيقة والخالق، ومرتكزها هو: رفض كل ما لا يتمشىٰ مع الحقيقة، ونفي التناقض النهائي، والانفتاح الدائم علىٰ دليل المخالفة، وعلىٰ الدليل الجديد[2].

والمتتبع المتنَ الفكريَ للدكتور راجي الفارقي خصوصًا في كتابه السالف الذكر «التوحيد: مضامينه علىٰ الفكر والحياة»، يجد أن التوحيد باعتباره مبدأ للمعرفة يقوم علىٰ ثلاث قواعد:

* **الأولىٰ**: رفض كل ما لا يتطابق مع الحقيقة.
* **الثانية**: إنكار المتناقضات اللامتناهية.
* **الثالثة**: الانفتاح علىٰ البيانات الجديدة والمضادة وكِلَيْهما معًا.

فالمبدأ الأول: يستبعد الباطل والوهم والظن من دائرة الاعتقاد الإسلامي، ويبقىٰ المجال مفتوحًا للنقد والتمحيص، والابتعاد عن الحقيقة أو الفشل في

---

(١) حسان عبد الله حسان، **ملخص كتاب التوحيد ومضامينه علىٰ الفكر والحياة للفاروقي**، مركز الدراسات المعرفية، مدرسة أصول الدين، جامعة دمياط، ص ٩.

(٢) السيد عمر، **النواة التوحيدية للنظام المعرفي الإسلامي لدىٰ الفارقي**، ضمن كتاب «إسماعيل راجي الفاروقي وإسهاماته في الإصلاح الفكري الإسلامي المعاصر»، ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م الطبعة الأولىٰ، دار الفتح للدراسات والنشر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن- فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٤٩١-٤٩٢.

التوافق معها يكفي لرفض أي شيء في الإسلام سواء كان تشريعيًّا أو مبدأً أخلاقيًّا شخصيًّا أو اجتماعيًّا، أو أي صيغة لفهم العالم. وهذا يحمي المسلم من آثار الرأي والهوىٰ، فأي زعم لا يصحبه الدليل ليس إلا ظنًّا لا يغني من الحق شيئًّا. فالمسلم إنسان محدد لا يقول إلا الحقيقة الواضحة، ولا يقبل غير الحقيقة حتىٰ لو خالفت هواه، أو اصطدمت بمصالحه الشخصية أو مصالح ذوي قرباه.

والمبدأ الثاني: يتعلق بعدم التناقض، ويمثل هذا المبدأ جوهر العقلانية، وبغيره لا مناص من الشك. فالتناقض النهائي يعني أن الحقيقة لا يمكن الوصول إليها. (...)، ويرىٰ الفاروقي أنه لا العقل ولا الوحي يسيطر أحدهما علىٰ الآخر، فلو قُدّم الوحي فإنه ينتفي المبدأ الذي يميز نصًّا من نصوص الوحي عن نصٍّ آخر، أو يميّز فكرتين يقدمهما الوحي عن موضوع واحد، وعندها لا يسهل حل ما يبدو من تناقض أو عدم انسجام في فهمنا لنصوص الوحي (...)، وعندما يحدث لدينا تعارض موهوم، فإن الإسلام يُعلّمنا أن التناقض ليس هو النهاية، ويحيل الباحث إما إلىٰ مراجعة فهمه الوحيَ، أو إلىٰ نتائج بحثه العقلي، أو للأمرين معًا.

أما المبدأ الثالث: للتوحيد بوصفه تعبيرًا عن وحدة الحقيقة، فهو التفتح لقبول البيانات الجديدة أو المخالفة. هذا المبدأ يحمي المسلم من الحاجة إلىٰ المذاهب الأخرىٰ الليبرالية، والتطرف أو المحافظة المؤدية إلىٰ التجمد والسكون، وترتفع به إلىٰ التواضع الفكري، وتفرض عليه النطق بعبارة «الله أعلم»؛ لأنه مقتنع بأن الحقيقة أكبر من أن يحيط بها الإنسان في أي وقت[1].

وتعزيزًا لهذه المكانة الجوهرية للعقيدة في كيان الأمة وتوجيه الفكر والحياة، يحدثنا محمد الفاضل بن عاشور بقوله: «وهذا راجع إلىٰ موقع العقيدة الدينية من المقومات لكيان الأمة، فإن موقع العقيدة الدينية من مقومات الكيان الاجتماعي للأمة الإسلامية باعتبارها مجتمعًا دينيًّا بالمعنىٰ الأخص، وهو موقع

---

(١) ملكاوي فتحي حسن، **منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية**، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، الطبعة الثانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن - فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ص ٣٦-٣٨.

رئيس جوهري كان فيه الدين العامل الأول المباشر لصنع المجتمع، وكان هو الحافز لنهضته الفكرية، والممهد له طريق الاتصال بما أنتجت من الأفكار والصنائع . . . ، فبالدين فكّر، وبالدين تحضّر، وبالدين أنتج آثار حضارته، وبالدين أقام الدولة الصائنة للمجتمع وحضارته»[1].

(١) ابن عاشور محمد الفاضل، **روح الحضارة الإسلامية**، ١٩٩٢، الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ٧٤-٧٥.

المطلب الثاني
طه جابر العلواني وعبد الحميد أبو سليمان ومحورية التوحيد في الرؤية الكلية القرآنية

تحدث الدكتور طه جابر العلواني عن التوحيد معتبرًا إياه محور الرؤية الكلية القرآنية، وفي ذلك يقول: «لقد جعل القرآن المجيد «التوحيد» منذ البداية محور «الرؤية الكلية»، وبهذا صار الإنسان قادرًا علىٰ بلوغ مستوىٰ «الاستقامة والحيدة العلمية»، في فهمه لما حوله وتفسيره له، وفهم خواصه، وتحديد وسائله وأساليبه؛ لأن التوحيد من شأنه تحرير الإنسان عقلًا ونفسًا وقلبًا ووجدانًا من الخرافة والأوهام، والمشاعر السلبية وسائر الضغوط والتحيّزات التي من شأنها أن تقلل الطاقات المعرفية الواعية لدىٰ الإنسان.

كما أن «التوحيد» مدخل تفسيري ذو قابليّات هائلة، وقدرات متنوعة لتفسير آلاف الظاهرات النفسية والسلوكية والنظمية والمعرفية في مختلف المستويات، والتفسير الذي يقدمه القرآن المجيد يؤدي إلىٰ الفهم العميق لتلك الظاهرات، ويمكن من صياغة الأسئلة المعرفية، وتعليم الإنسان طرق الإجابة عنها، كما يمكنه من وضع المقدمات بأدق ما يستطيعه العقل البشري، وتجنيبه الخطأ؛ فتصير عملية الوصول إلىٰ النتيجة منضبطة تستوعب «التنبؤ المنهجي» وتتجاوزه، وقد أطلق القرآن العقل البشري من عقاله بمنهج النظر الذي جاء به، وحرره تحريرًا كاملًا من سلطان الكهانة والسحر والشعوذة، وقاده إلىٰ معرفة الطبيعة وغيرها مما يهم الإنسان معرفته، ومنحه الشجاعة التامة والجرأة، والثقة بنفسه من خلال دعوته العقلَ إلىٰ أن يتفكر ويتدبر، ويتذكّر ويُفْقه ويُبْصر، ويتعقل، ويُعلّم ويتعلّم، ويعرف، ودرّبه علىٰ ألَّا يتهيب أقطار السماوات وحبكها، وفجاج الأرض

وطبقاتها، ولا ظلمات أعماق البحار والمحيطات وتضاريسها، وألا يتردد في بناء وعي عقليّ وإدراك منطقيّ تسدده وتهديه وترشّده أنوار الوحي وهدايته، ليؤمن عن برهان ويسلم عن يقين؛ ويؤهل لممارسة «التزكية» في ذاته وأسرته ومجتمعه، و«العمران» في الكون الذي استخلف فيه؛ وبذلك أسس القرآن للعقلانية التوحيدية[1].

وفي سياق بيانه لمحوريّة التوحيد في الرؤية المعرفية القرآنية، يقول الدكتور طه جابر العلواني: «فحينما نُؤمر أن نؤمن بالله والملائكة والكتاب والنبيئين واليوم الآخر، ونؤمن بأن الله جل شأنه، يتصف بكل صفات الكمال .. وله الأمر، وله الحكم، وله القدر، وله المشيئة، وله الإرادة .. والنبوة وصفاتها ودورها، وواجب الأنبياء، وما يستحيل عليهم .. الكتب السماوية وصفاتها، القدر، اليوم الآخر .. هذه كلها لتنظيم العلاقة بين الأطراف الثلاثة (الغيب والكون والإنسان)، يعني أن نؤمن بكل هذا الذي ذكر، فالنتيجة تكون تنظيم العلاقة بين الأطراف الثلاثة، وإذا لم يحصل، معنىٰ ذلك أن هناك خللًا في هذا الذي سميناه العقيدة»[2].

أما الدكتور **عبد الحميد أبو سليمان** فيعتبر أن **الوحدانية** تمثل أهم الركائز والأسس التي تقوم عليها المنهجية الإسلامية والفكر الإسلامي، فالعقل المسلم حسب أبو سليمان «لا يكون له وجود إلا أن يؤمن بالوحدانية كمسلّمة عقيدية فطرية علىٰ أساس من إيمانه المطلق وإدراكه البيّن بالله جل شأنه. وهذا المنطلق يقيم العقل المسلم علىٰ فرضية وحدة المصدر والحقيقة التي ينطلق منها كل الكون والكائنات، وما حقق العقل المسلم من نجاح إلا وكان منطلقه في التزام مبدأ الوحدانية، وما تخبط العقل المسلم إلا بتجاهله وغفلته عن هذا المبدأ كدليل فكر وعمل والتزام»[3].

---

(١) العلواني طه جابر، **معالم في المنهج القرآني**، ص ٦٨.

(٢) العلواني طه جابر، **مقدمة في إسلامية المعرفة**، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م، الطبعة الأولىٰ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٤٠.

(٣) أبو سليمان عبد الحميد، **قضية المنهجية في الفكر الإسلامي**، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ١٨.

وعن أهمية التوحيد باعتباره بوصلة مُوجهة، للعقل المسلم وحركته في الكون والحياة، يقول عبد الحميد أبو سليمان: «إن فطرة التوحيد في العقل المسلم هي دليل حركته في التعامل مع الكائنات والأحداث الكونية من منطلق الغائية، وغائية الخلق في دور خلافة الإنسان ومسؤوليته في إدارة الكون تحتم علىٰ العقل المسلم إدراك منطق حركة هذه الكائنات ونواميس أدائها حتىٰ يتم حمل مسؤولية إدارتها وتسخيرها علىٰ ما تُقضىٰ به غايات الخلق ومقتضيات الجهاد والخلافة»[1].

وعمومًا يمكن القول: إن التوحيد يعتبر بمثابة الناظم المنهجي والضابط المعرفي، والخلفية الفلسفية المؤطرة والموجهة للعلم والمعرفة في المجال التداولي الإسلامي، علىٰ عكس النظام المعرفي الغربي القائم علىٰ العلاقة الانفصالية مع العقيدة والدين (في طابعهما الكنسي)، معتبرًا أن ذلك لا يسهم في التقدم العلمي والتقني، بقدر ما يعرقله ويحد من تطوره وازدهاره.

(١) نفسه، ص ٢٠.